المحاضرة الثالثة من المحور الثاني:
أساليب البحث المتعلقة بالمجرم

إن تفسير الظاهرة الإجرامية يحتاج إلى وسائل متنوعة تشترك جميعها في دراسة مختلف جوانب شخصية المجرم، حيث يستعين علماء الإجرام في محاولتهم تفسير الظاهرة الاجرامية بوسائل متنوعة تتفق كلها في دراسة شخصية المجرم والغوص في نفسيته وتركيبته العضوية، فهي تدرس المجرم باعتباره الفاعل والمؤثر في الظاهرة الاجرامية من جميع النواحي، وتكون لكل وسيلة أسلوب أداء معين يهدف لنتائج محددة، وتتمثل هذه الوسائل فيما يلي:

أولا: الفحص الكلي للمجرم

يهدف أسلوب الفحص الكلي للمجرم إلى الكشف عن الحالة العضوية (كالغدد والهرمونات والجهاز العصبي والمخ ...) وكذا الحالة النفسية والعقلية للمجرم من خلال فحص كل اختلال يؤدي إلى تخفيف العقوبة باعتباره من الظروف القضائية المخففة، وهذا بغية الوصول إلى العوامل الدافعة لارتكاب الجريمة. ويتم الفحص الكلي للمجرم عن طريق ما يلي:

1- **الفحص العضوي:** يشتمل الفحص العضوي للمجرم على الفحص الطبي الشامل للأعضاء الخارجية وذلك بدراسة شكل أعضاء الجسم وملاحظة ما يكون فيها من تشويه أو

نقص ربما يكون له صلة بالسلوك الإجرامي، لأن وجود أية عاهة (كانعدام السمع أو النطق أو البصر أو فقدان أحد الأطراف) قد ينعكس على سلوك الفرد ويحوله إلى شخص مجرم.

أما فحص الأجهزة الداخلية للمجرم، فهو دراسة وظائف أعضاء وأجهزة جسم المجرم، إذ يدرس وظيفة الجهاز العصبي والجهاز الهضمي والجهاز التناسلي والجهاز الدموي لملاحظة ما قد يشوبها من نقص أو تشويه أو خلل يساعد الباحث على تحليل سلوك المجرم الإجرامي، والبحث في أسباب تكوين هذا السلوك والربط بين ذلك الخلل وبين هذا التكوين، فوجود خلل في هذه الأجهزة ينم عن أمراض أصابتها أو عيوب مما دفع الفرد للانحراف.

2-الفحص النفسي:

يشتمل الفحص النفسي للمجرم على فحص جهازه العصبي ودراسة حالته النفسية إذا كان سويا أو منحرفا، لمعرفة مدى تأثير الحالة النفسية للمجرم على الظاهرة الاجرامية.

وانطلاقا من فكرة أن كل سلوك يقوم به الفرد انما هو تعبير صادق ونتيجة حتمية لما يجول بنفسية المجرم، فإنه يتوجب إخضاع المجرم للفحص النفسي للكشف عن الحالة الباطنية للمجرم ومعرفة ما إذا كان يشوبها خلل أم لا.

ومن الوسائل التي تم استعمالها في الفحص النفسي، التداعي الحر وتفسير الاحلام والتنويم المغناطيسي.

ثانيا: الملاحظة

تعد الملاحظة من أقدم وسائل جمع المعلومات حول ظاهرة معينة، ويقصد بها عملية مراقبة أو متابعة لسلوك الظواهر والمشكلات والأحداث ومكوناتها المادية والبيئية، ومتابعة سيرها واتجاهاتها وعلاقاتها بأسلوب علمي منظم ومخطط وهادف، بقصد التفسير وتحديد العلاقة بين المتغيرات، والتنبؤ بسلوك الظاهرة وتوجيهها لخدمة أغراض الإنسان وتلبية احتياجاته.

1- **تعريف الملاحظة:** يقصد بالملاحظة في معناها العام الانتباه العفوي لظاهرة دون قصد.

أما الملاحظة العلمية فهي المشاهدة الحسية للوقائع بطريقة مقصودة ومنظمة بهدف التوصيف والتصنيف، قبل وضع الفرضيات والتجربة، وهي أهم وسائل المنهج التجريبي الذي يعتمده الباحثون للوصول إلى نتائج علمية دقيقة.

أو هي تتبع حالات فردية عن طريق المشاهدة ثم تعميم نتائجها على حالات أخرى لم يتم ملاحظتها، فهي أسلوب لا غنى عنه في مجال دراسة الظاهرة الإجرامية كونها تساهم في استخراج الأسباب النفسية أو الفكرية التي أدت لارتكاب السلوك الإجرامي.

نستنتج من هذا التعريف أن الملاحظة تتضمن العناصر التالية:

- سلوك فرد أو مجموعة أفراد (عينة الدراسة).
- رصد ومعاينة أو مراقبة أو متابعة(الدراسة).
- وصف السلوك ثم تحليله ثم تقويمه(التشخيص).

2- أنواع الملاحظة: هناك عدة تقسيمات للملاحظة، التقسيم الأول يصنفها إلى نوعان، ملاحظة فردية وملاحظة جماعية، والتقسيم الثاني يصنفها إلى ملاحظة بسيطة وملاحظة منظمة.

أ) – التقسيم الأول (الملاحظة الفردية والجماعية):

- **الملاحظة الفردية:** وتنحصر على مجرم واحد فقط تتناول ماضيه وأسرته ووسطه وقد تمتد للفحص العضوي والنفسي لمعرفة الأسباب التي دفعه لارتكاب الجريمة بغرض النظر عن البحث في ظروف التخفيف.

ويلجأ الكثير من الباحثين في علم الإجرام لأسلوب الملاحظة الفردية للبحث عن أسباب ارتكاب الجريمة، ومن أشهر الأمثلة التي نسوقها في هذا النوع من الملاحظة؛ ما فعله الطبيب الإيطالي لومبروزو الذي انطلق من دراسة ملاحظة حالة مميزة لديه، ثم عمم نظريته بعد ذلك وحصر أسباب الإجرام في عامل واحد هو الوراثة.

بالرغم من فوائد هذا الأسلوب إلا أنه يجب أن يؤخذ بكثير من الحذر عند التعميم.

- **الملاحظة الجماعية:** يقصد بها الملاحظة التي تكون منصبة على مجموعة من الافراد يشتركون في صفات معينة، كأن تكون منصبة على مجموعة أشخاص تشترك في ارتكبها لنفس الجريمة أو بنفس الأسلوب، ومن قبيل ذلك المجرمين الذين يرتكبون جريمة القتل باستعمال السم أو التعذيب، أو قد يشتركون في صفات ثابتة كأن يكونوا فقراء أو مجرمين عائدين أو يمارسون نفس المهنة أو يكون لهم نفس المستوى الاجتماعي وغيرها.

إن الغاية من الملاحظة الجماعية هو الكشف عن العلاقة التي تجمع بين هذه الصفات التي تجمع ما بين مجموعة من المجرمين وارتباطها بنوع معين من الجريمة المرتكبة، ومن ثم يمكن تعميم النتائج المتوصل إليها عن حالات مشابهة لذلك.

وحتى تكون النتائج المتوصل إليها من خلال الملاحظة دقيقة وصادقة، يجب ان تكون عينة الدراسة التي أخضعها الباحث للملاحظة تمثل بصدق وموضوعية الصفة التي يراد دراستها، وفي هذه الحالة التعميم يكون أكثر فعالية وأصدق من الملاحظة الفردية.

ب) – التقسيم الثاني (الملاحظة البسيطة والمنظمة):

- **الملاحظة البسيطة:** ويطلق عليها الملاحظة غير الموجهة وهي التي يعتمد فيها على الحواس دون الاستعانة بوسائل تقنية، وتقسم إلى:

- **الملاحظة بالمشاركة:** وفيها يشارك الباحث مشاركة فعلية في الموقف أو الوضع أو الحالة التي يريد ملاحظتها بغرض جمع البيانات عنها، فيعيش مثلا كعضو من عصابة أو متشرد أو سجين وسط مجموعة من المجرمين موضوع الدراسة ويسايرهم ويتجاوب معهم ويخضع لنفس ظروفهم ولجميع المؤثرات التي يخضعون لها ويتعايش معها.

يرى بعض الباحثين أن الباحث في الملاحظة بالمشاركة يجب أن يكون مستترا.

ويرى آخرون أن الباحث قد يكون: إما مكشوفا لأفراد الدراسة أو مستترا.

- **الملاحظة بغير المشاركة:** وفيها يقوم الباحث بمراقبة مجموعة المجرمين عن كثب دون أن يشترك في أي نشاط تقوم به هذه الجماعة موضع الملاحظة؛ فهي لا تتضمن أكثر من النظر والاستماع ومتابعة الموقف دون ما مشاركة فعلية فيه.

ويحاول الباحث الملاحظ قدر جهده ألا يظهر في الموقف، كأن يراقب نزلاء السجون أثناء فترة الراحة، فيراقب تصرفاتهم من بعيد ليلاحظ ما يفعلون ثم يسجل ما يراه وما يسمعه وما يلاحظه دون علمهم بذلك.

- **الملاحظة المنظمة:** وهي الملاحظة العلمية المقصودة التي يحدد فيها الباحث المشاهدات أو الحوادث التي يريد أن يجمع فيها بيانات وبالتالي تكون البيانات المجموعة أكثر دقة وتحديدا عنها في حالة الملاحظة البسيطة، ويتم في هذه الطريقة استخدام وسائل التصوير والتسجيل الصوتي والكشف الطبي ...الخ، وتفيد هذه الوسائل الباحث في التحقق من صدق المعلومات الامر الذي يجعل هذا النوع من الملاحظة يتسم بقدر من الموضوعية.

ثالثا: المقابلة

1- **تعريف المقابلة:** المقابلة هي عبارة عن محادثة موجهة يقوم بها الباحث مع مبحوث أو أكثر بهدف الحصول على معلومات حول موضوع أو قضية محددة.

2- **أنواعها:** تنقسم المقابلة على نوعين؛ مقابلة رسمية وغير رسمية.

- **المقابلة الرسمية (مغلقة):** وتكون فيها الأسئلة موضوعة سلفا، تستخدم عندما يتعذر استخدامه في الاستبانة وذلك في حالة كون أفراد الدراسة ممن لا يستطيعون القراءة والكتابة كالأميين والأطفال الصغار.

- **المقابلة غير الرسمية:** هي التي لا تكون فيها الأسئلة موضوعة سلفا، تستخدم في البحوث النوعية، لمعرفة مثلا كيف يفكر أفراد الدراسة(المجرم) حول قضايا أو موضوعات معينة.

الأمور الواجب مراعاتها أثناء المقابلة:

- ✓ احترام عادات وتقاليد ومشاعر أفراد الدراسة.
- ✓ احترام أفراد الدراسة.
- ✓ على الباحث أن يكون طبيعيا أثناء المقابلة.
- ✓ على الباحث أن يطور نوعا من الانسجام (الألفة) مع المفحوص، أي يخلق جوا وديا
- ✓ تغيير طريقة السؤال إذا لم يفهم المفحوص محتوى السؤال.
- ✓ على الباحث ألا يسأل أكثر من سؤال واحد في وقت واحد.
- ✓ ألا يقاطع المفحوص أثناء الإجابة.
- ✓ تناسب مظهر الباحث مع المستجوبين.
- ✓ ألا يترك للمبحوث عملية إدارة المقابلة، وأن يسيطر على مجريات المقابلة.
- ✓ اختيار الطريقة المناسبة لتسجيل إجابات المبحوثين.

رابعا: الاستبانــة(الاستبيان)

تتضمن مجموعة من الأسئلة أو الجمل الخبرية يطلب من المفحوصين الإجابة عنها بطريقة يحددها الباحث حسب أغراض البحث.

تسلم الاستبانة مباشرة للمفحوص (المجرم) أو بواسطة البريد، أو بواسطة الهاتف، أو بواسطة البريد الالكتروني.

أنواع أسئلة الاستبانة:

- **أسئلة مغلقة:** يطلب من المبحوث اختيار الإجابة الصحيحة من مجموعة من الإجابات مثل نعم/لا، أوافق/ لا أوافق....

ولها أنواع نذكر منها:

أسئلة الاختيار المتعدد: وفيها يقوم الباحث بتحديد الخيارات وما على المبحوث سوى اختيار واحد منها فقط (موافق بشدة/ موافق / محايد/غير موافق/غير موافق بشدة).

الأسئلة الثنائية: حيث يختار المبحوث من خيارين فقط ،أوافق/ لااوافق.

الأسئلة المدرّجة: يقدم الباحث مجموعة من الاختيارات ويطلب من المبحوث أن يرتبها حسب الأهمية مثلا أو التفضيل أو أي معيار يخدم الغرض من البحث.

- **أسئلة مفتوحة:** يترك للمفحوص حرية التعبير عن رأيه مثل: ما المشكلات التي تواجه الطالب الجامعي؟
- **أسئلة مفتوحة ومغلقة:** وفيها يجمع الباحث بين الأسئلة المغلقة والمفتوحة.

قواعد بناء وصياغة أسئلة الاستبانة:

- ✓ وضوح الأسئلة.
- ✓ أن تكون جمل الأسئلة قصيرة ما أمكن.
- ✓ تجنب الأسئلة المركبة.
- ✓ تجنب الأسئلة المثيرة للتفكير الدقيق.

- ✓ تجنب الأسئلة بصيغة النفي.
- ✓ استخدام الكلمات العامة وتجنب المصطلحات المهنية الصعبة.
- ✓ تجنب وجود خيارات متداخلة للأسئلة.
- ✓ يجب أن تكون خيارات الأسئلة كافية.
- ✓ تجنب استخدام الاختصارات.
- ✓ تجنب الأخطاء اللغوية والمطبعية.
- ✓ ترك الفراغات اللازمة للإجابة على الأسئلة المفتوحة.
- ✓ استخدام أمثلة توضيحية.
- ✓ ترقيم صفحات الاستبانة.

وضع الأسئلة المهمة في بداية الاستبانة ما أمكن.